نفوسهم الكثيفة لوجود الف العادة والغيبة عن شهود تدبير الله اياي
طلب ما كانوا تألفوه فقالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي
هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباؤا بغضب من الله لانهم تركوا اختيار الله لهم ما ثبّتهم لما اختاروه
لانفسهم فقيل لهم على طريقة التوبيخ اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي
هو خير فظاهر التفسير اتستبدلون الغوم والعدس والبصل بالمن والسلوى
وليس النوعان سواءً في اللذاذة ولا في سقوط المشقة وسر الاعتبار
اتستبدلون مرادكم لانفسكم بمراد الله لكم اتستبدلون الذي هو ادنى
وهو ما اردتموه بالذي هو خير وهو ما اراده الله لكم اهبطوا مصرا فان
ما اشتهيتموه لا يليق ان يكون الا في الامصار وفي سر الاعتبار اهبطوا
عن سماء التفويض وحسن التدبير منالكم الى ارض التدبير والاختيار منكم
لانفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لانفسكم
مع تدبير الله ولو انّ هذه الامة هي الكائنة في التيه لما قالت مقالة
بني اسرايل لشفوف انوارهم ونفوذ اسرارهم الا ترى ان بني اسرايل قالوا في
ابتداء هذا الامر وهو كان سبب التيه لموسى صلوات الله عليه اذهب انت
وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون وقالوا في آخره ادع لنا ربك يخرج لنا
الاول عن امتثال امر الله وفي الآخر اختاروا لانفسهم غير اختيار الله وكثيرا
ما نكرر منهم ما يدل على بعدهم عن مصدر الحقيقة وسوء الطريقة في قولهم ارنا الله
جهرة وفي قولهم لموسى عليه السلام وبعد لم ينشف بلل البحر من اقدامهم حتى
فرق لهم لما عبروا على قوم يعكفون على اصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم

الهة

موسى

الهة فكانوا كما قال صلوات الله عليه قال انكم قوم تجهلون وكذلك
قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم
خذوا ما اتيناكم بقوة وهذه الامة نُتِق فوق قلوبها جبال الهيبة
والعظمة فاخذوا الكتاب بذلك وايدوا الها هنالك وعابوا من عبدهم
العجل وعيّر ذلك لان الله سبحانه اختار هذه الامة واختارها واثنى
عليها بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس وقوله وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي عدولا اخيارا فقد تبين لك من هذا ان التدبير والاختيار
من اشد الذنوب والاوزار فان اردت ان يكون من الله اختيار فاسقط
معه الاختيار واذ اردت ان يكون لك تحسن التدبير فلا تدعي معه وجود
التدبير واذ اردت الوصول الى المراد فذاك بان لا يكون لك معه مراد
ولذلك لما قيل لابي يزيد ما تريد قال اريد ان لا اريد فلم تكن امنيته
من الله ولا طلبه منه الا سقوط الارادة معه لعلمه انها افضل الكرامات
واجل القربات وقد يشتق للخصوص الكرامات الظاهرة وبقايا التدبير
كامنة فيه فالكرامة الحقيقة انما هي ترك التدبير مع الله والتفويض لحكم
الله ولذلك قال الشيخ ابو الحسن انما هما كرامتان جامعتان محيطتان
كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء
والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن اعطيها ثم حجل يشتاق
الى غيرها فهو عبد مغتر كذاب اوذ واخطاء في العلم والعمل بالصواب
كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضى فجعل يشتاق الى سياسة الدواب
وخلع الرضى وكل كرامة لا يصحبها الوضى من الله وعن الله فصاحبها مستدرج
مغرور وناقص وهالك مثبور فاعلمك ان الكرامة لا تكون كرامة حتى يصحبها